الفلسفة الموجهة للأطفال في تونس، شهادة على تجربة.

هدى الكافي (تونس)

تقدم المداخلة شهادة عن تجربة قمتُ بإنجازها في إطار بعث نوادي التفكير الفلسفي الموجه للأطفال في تونس، و التي جاءت كتتويج لعمل انطلق منذ سنة ٢٠٠٨ حول هذه الممارسة الجديدة بعد أن تلقيت تكوينا في الموضوع مع الباحث الفرنسي المختص الأستاذ ميشال توتزي و بعد أن شاركت في دورات تكوينية متعددة مع الجمعية الفرنسية أرب فيلو، كانت في مدينة تولوز ثم في تونس وفي الجزائر.،

التجربة تمثلت في تكوين فريق مشترك جمع مدّرسين من التعليم الابتدائي ومدرسي فلسفة في التعليم الثانوي وتكوينهم في طرق تنشيط ورشات التفكير الفلسفي وفق مقتضيات طريقة مبتكر هذه الممارسة الجديدة للفلسفة، أستاذ المنطق بجامعة كلومبيا ماتيو ليبمان، بعد التكوين النظري وقع نظمت ورشات تفكير مع التلاميذ بحضور المدّرسين و المشرفين البيداغوجيين، و إثر كل ورشة نقاش، يقع التداول مع المدّرسين لتقييم الورشة و توضيح المسارات التي يجب أن يتبّعها المدّرس لتوجيه النقاش نحو الوجهة الفلسفية، دون أن يتدخّل بأفكاره أو يقدم دروسا في الفلسفة.

المداخلة ستكون كالآتي:

- المسّوغات النظرية لممارسة الفلسفة مع الأطفال.
- شهادة على تجربة الفلسفة الموجهة للأطفال في تونس.
- صعوبات الانجاز و مخاوف القائمين على الشأن التربوي في تونس.

بدءً أريد أن أشكر رئيسة قسم الفلسفة بجامعة القاهرة الدكتورة هدى خولي على هذه الدعوة و أشكر كل القائمين على هذا المؤتمر الدولي المخصص لفلسفة التربية الذي أتاح لي الفرصة للمشاركة معكم في التفكير في قضايا التعليم والتربية في عالمنا العربي و بالتحديد في هذه المسألة الجديدة التي كثر الحديث حولها و التي تحتاج منّا جميعا إلى كثير من الاهتمام و التروي و هي مسألة الفلسفة الموجهة للأطفال، اخترت أن تكون مداخلاتي في هذه الندوة وصفا لتجربة أنجزتها بالتعاون مع متفقدي و مدّرسي

التعليم الابتدائي و مجموعة من أساتذة الفلسفة، واختياري هذا سببه ضرورة أن نبدأ فعلا في انجاز هذه الممارسة الجديدة للفلسفة و نكّف عن التردد و التوجّس من مخاطرها إما بحجج الخوف على الفلسفة الأكادمية أو بحجة الخوف على الأطفال مما يمكن أن تمثله الفلسفة من خطر على تكوينهم النفسي أو الفكري. و لكن قبل أن أكشف عن سياق هذه التجربة و كيفية انجازها و خلاصاتها، سأبدأ مداخلتي بجانب نظري أكشف فيه مسّوغات ممارسة التفكير الفلسفي مع الأطفال ثم انتقل إلى وصف التجربة و انتهي في الجزء الثالث من هذه المداخلة إلى الصعوبات و مخاوف القائمين على الشأن التربوي في تونس.

١/ – ماهي المسّوغات النظرية لممارسة الفلسفة مع الأطفال؟

لنبدأإذن بتعريف الفلسفة الموجهة للأطفال ولنعتمد فيذلك تعريفا أنجزه باحثان اختصا في هذا المجال هما رونالد ريد وآنشارب.

Ronald Reed & Ann M. Sharp

في مؤلفهما المخصص لكتاب ليبمان الذيي حمل عنوان Pixie في المقدمة يعّرف الكاتبان الفلسفة الموجهة للأطفال كالاتي:

" فلسفة الأطفال هي محاولة للنظرإلى تاريخ الفلسفة وإعادة بنائها للأطفال بطريقة تجعلهم يتملكونها بأنفسهم وبالتالي يتقنون فن التفكير بشكل مستقل وقادرعلى تصحيح ذاته. كما تم النظرإلى فلسفة الأطفال كمغامرة تعليمية، أي كمحاولة لتحويل الفصل إلى جماعة بحث فلسفي. في هذه الجماعة يتعلم الأطفال فن المداولة والحوار ويصبحون ماهرين في إصدارالأحكام الجيدة. ومع نموهم في إتقان البحث الفلسفي المشترك، فإن أملنا هو أن يصبحوا أكثر قدرة على التفكير بأنفسهم في الموضوعات التي يجدونها مهمة، والمواضيع التي كانت في نظر الفلاسفة مهمة منذ مئات السنين. وهي الموضوعات التي تهتم بطبيعة الكون، وصفات الحياة الطيبة وتنمية الحكمة "[1]

يعتبر ماثيو ليبمان مؤسس الفلسفة الموجهة للأطفال أن التكوين العرفاني يكون مستحيلا دون فلسفة مع التأكيد أن الفلسفة المقصودة ليست تلك الفلسفة الجافة التي تدّرس في الجامعات و التي من الأكيد أن الأطفال يرفضونها بل الفلسفة و قد طّوعت ليُقبل عليها التلاميذ بقدر كبير من الحماس و يدعو في مداخلته التى نشرت سنة ١٩٨٩ تحت عنوان **تعلم التفكير، التفكير في التعلّم**،[٢] إلى تغير برامج التدريس لكي تستقبل الفلسفة،لكنه وقبل أن يفكّر في كيفية تغيير برامج التعليم توقف عند جملة من

الفرضيات التي من الضروري توفيرها لكي تكون الفلسفة الموجهة للأطفال ممكنة :

- أولها أن تكون البرامج محايدة إزاء مختلف التصورات الفلسفية و أن تبقى مُتمثّلة للفلسفة في مجملها.
- ثانيا يجب أن تُدّرس البرامج بطريقة بعيدة عن الدغمائية، الأمر الذي يستوجب تكوينا بيداغوجيا صلبا لدى المدّرسين و قدرة على الالتزام بالحياد في المسائل الفلسفية.
- الأطفال مثلهم مثل الفلاسفة يطرحون أسئلة فلسفية حول العالم و هم قادرون على فهم المفاهيم الفلسفية ، بشرط أن تصاغ الأسئلة في لغة قابلة للفهم من قبلهم يستطيعون أن يخلقوا مثلها، و يعتبر ليبمان أن للأطفالألفة طبيعية مع الفلسفة.
- التمشي المنطقي الذي يتبعه الطفل في محادثة ما لا يختلف كثيرا عن تمشي الفيلسوف، فكلاهما يضع فرضيات و يستنتج استنتاجات و يحدد مفاهيم و يستوحي أفكارا من هذا و ذاك و يبني تصنيفات و يحلل فوارق غامضة.. إلخ.
- عدد كبير من الألفاظ الهامة التي يستعملها الفلاسفة نجدها في معجم الأطفال الصغار، مثل الخير، العادل، الأمين (في الأخلاق) ؛ الصحيح، الممكن، المحدد (في الابستمولوجيا) ؛ الجميل و الفني (في الاستيتيقا) ؛ العقل و الوسائل (في المنطق) ؛ و الشخص و الحياة و العالم (في الميتافزيقا).
- الأسئلة التي يطرحها الأطفال غالبا ما تكون قريبة من الأسئلة التي يُثيرها الفلاسفة، بمعنى أن كلاهما يضع المسّلمات موضع تساؤل. لذلك و على شاكلة الفلاسفة يحبذ الأطفال الألغاز التي تستحضر تضادا بين المظهر/ الواقع، الوحدة/ الكثرة، الجسم/ الروح، إلخ..
- فكرة أن الأطفال يعيشون أكثر في العالم "الملموس " الأمر الذي يمنعهم من الاهتمام بالأفكار المجّردة والنقاش هي فكرة *خاطئة* لا أكثر. هي في الأصل حكم مسبق يحمله الكهولتسبب في أن عددا لاحصر له من الأطفال "قطموا عن التجريد".
- يُفكّر الأطفال بشكل أفضل عندما نوفر لهم *نماذج* للتفكير السليم، هذه النماذج يمكن أن يقدّمها المدّرسون والكتب المدرسية و رفاقهم في الدراسة. و من المهم أن تُقدم الكتب المدرسية تلك النماذج التي يتداول الأطفال بشأنها و يكّونون مجموعات للبحث *investigation*.
- يتعلم الأطفال بكيفية أفضل عندما تكون النصوص سردية – قصص قصيرة أو

أقاصيص– أو تقدم في شكل أدبي مُختلف، الشعر مثلا، لأنهم يستطيعون به الاقتراب من المعاني السياقية التي يستعصي عليهم إدراكها في العروض الاستدلالية و فهمها كعناصر من وحدة منظمة.

- رغم أن الذكاء يُمكن أن يُعبر عنه بأشكال مختلفة إلا أن اللغة المكتوبة و الشفوية هي أهم وسيلة للتبادل في الفصل. لذلك يجب مساعدة الأطفال على التفكير شفويا في لغتهم اليومية؛ وهنا يحتل الاستدلال بالرموز أهمية ثانوية بما أن المنظومة التربوية الحالية هي التي تعنينا في اللحظة الراهنة.
- يرغب الأطفال في أن تُقدم لهم تفسيرات و إمكانية الحصول عليها هي التي تمثّل أهم عامل لتحفيزهم. لذلك يجب أن تُستعمل التمارين المجردة التي تبدو خالية من الفائدة بالنسبة للتلاميذ بكثير من الاعتدال.
- حتى يكون التكوين العرفاني ناجعا، يجب أن تتوفر في المتون المدرسية *التمارين* التي تمكّن من تنمية الاقتدارات العرفانية و خطط للحوار تمكن عملية المفهمة la conceptualisation.
- حتى نحافظ على التماسك الداخلي للاختصاص، يجب أن تعد التمارين لا من قبل المدّرسين بل من قبل المختصّين في برامج تعليم الاختصاص المقصود. و بالمثل يجب أن يكّون المدّرسون من قبل مختصين في المادة لا من قبل مدّرسين آخرين.
- التكوين العرفاني الناجع هو تكوين يؤكد على تنمية أربع مجموعات من الاقتدارات و هي : الاستدلال والبحث و المفهمة و الصياغة.
- الاستدلال هو تقنية، أفضل طرق تدريسها هو التعلّم العرفاني عبر النماذج، و الاشغال الموجهة وخاصة النقاش حول نقاط ملموسة. أما الحكم فهو فن، يصعب تدريسه بما هو كذلك و يمكن أن نساعد التلاميذ على تملكّه عبر تشجيعهم على اكتسابه بأنفسهم إذا ما وفرنا لهم المناخ الفكري الملائم الذي يحّفزهم على تكوين مجموعات و على البحث. يتعلم الأفراد التفكير بشكل أفضل عندما يستبطنون الانضباط الذي يفرضه التفكير داخل مجموعة بحث، و لا يتمكنون من تكوين حكم شخصي إلا بعد المشاركة الفعلية في المداولة.

تبرز هذه النقاط التي أكد عليها ماثيو ليبمان أن الفلسفة الموجهة للأطفال هي تدريب على التفكير المنطقي لتنمية جملة من الاقتدارات الفكرية و التي بها يتكّون الطفل عرفانيا و يصبح قادرا على التحليل و المقارنة و المفهمة و على الحكم، و

يكون التكوين ضمن جماعة البحث ووفق نظام يضبط بجملة من القواعد. و الواضح في هذه الرؤية للتربية الفكرية ارتكازها على مسّلمات نظرية تجد أصولها في السلوكية و البنائية و البراغمتية و النزعة الإنسانوية. التي تشترك في اعتبار فعل التربية أداة لتنمية الشخص من أجل تحسين المجتمع.

إن تثميننا لهذا التوجه التربوي الذي أسسه ماثيو ليبمان منذ ستين سنة و اقتناعنا بوجوب إدراج هذه التربية على التفكير في مناهجنا التربوية هو الذي دفعني إلي خوض التجربة التي سأقدم بعض تفاصيلها و اعرض بعض استنتاجاتها.

٢/ شهادة على تجربة الفلسفة الموجهة للأطفال في تونس.

عندمابدأ الاهتمام بالفلسفة الموجهة للأطفال في تونس وكان ذلك في سبتمبر ٢٠٠٨،بمناسبة دورة تكوينية خصّصتها وزارة التربية لمتفقدي مادة الفلسفة،أنجزها الخبير الدولي ميشالتوزي Michel TOZZI كان تردود أفعال بعض الزملاء المتفقدين متخّوفة من هذه الممارسة الجديدة واستخدمت بعض الحجج من قبيل أن االتفلسف مع الأطفال منشأنه أن يهدد براءتهم والأفضل أن يُترك التلميذعل سبراءته إلي أن ينضج ويصبح قادرا على فهم الفلسفة . ولعل هذا الاحتراز الذي يبديه الكثيرون إزاء الفلسفة الموجهة للأطفال يبقى قائم اطالما لم تفسّر هذه الممارسة الجديدة ولم توضع في إطارها المرجعي والفلسفي و التربوي. ولعل العودة إلى ماتيولبيمان مؤسس هذه الممارسة الجديدة هو الكفيل بإبعادنا عن الأحكام المسبقة وعن المخاوف التي يُظهرها البعض إزاءها. فالفضل يعود إليه في إدراج التربية على التفكير كمهمة أساسية يجب أن تضطلع بها المدرسة والذي مكّنمن أن تُصبح الفلسفة الموجهة للأطفال أمرا متاحا يهتم به عديد المختصين عبر العالم تعترف به منظمة اليونسكو وتخّصه بكرسيخا صمنذ سنة ٢٠١٦..

سنة ٢٠٠٩ نظمت اليونسكو بالتعاون مع وزارة التربية التونسية لقاء رفيع المستوى جمع عديد الدول العربية خصص للتعريف بالفلسفة الموجهة للأطفال وانتهى بتكوين لجنة بحث وقيادة ، كنت عضوة فيها، وتبنتها وزارة التربية وفوضّت متابعتها للمركز الوطني للتجديد البيداغوجيو البحوث التربوية. وجمعت اللجنة مجموعة من متفقدي الفلسفة ومتفقدي التعليم الابتدائي وشرعنا في إعداد وتكوين مجموعة من المدّرسين والمساعدين البيداغوجيين وأشرف ميشالتوزي على دورة تكوينية لتلك المجموعة تمت في المركز الوطني لتكوين المكونين وهندسة التكوينبرادس. ولكن ولظروف قانونية تخص المركز دعينا إلي التوقف عن التكوين والاكتفاء بإنجاز وحدةت

كوينية تُستعمل لتكوين المعلمين في ما اتفقناعلى تسميته **بالإيقاظ الفكري**، نظرا لم ايمكن أن تثيره كلمة فلسفة من ردود أفعال سلبية نعرفها جميعا. وشرعنا فعلا في إنجازها وفي ديسمبر ٢٠١٠ قررنا القيام بأول حصة تكون بحضور التلاميذ في أحدالمدارس الابتدائية بمدينة سوسة. ولكن بدأ تفيتلك الفترة الاحتجاج اتفيكاملأنحاء البلاد وانته تبثورة ١٤ جانفي ٢٠١١. وأدت بطبيعة الحال هذه الاحداث إلي توقف مشروعنا. الذي واصلته شخصيا بصورة فردية مع جمعية آربفيلو الفرنسية التي جاءت إلي تونس سنة ٢٠١٢ وأنجزت دور اتت كوينية في تنشيطورشات التفكير الفلسفي شاركت فيها، كانت علنا لتو الي في تونس سنة ٢٠١٢ وتولوزسنة ٢٠١٣ ثم في الجزائر سنة ٢٠١٤ بالتعاون مع دار المعلمين العليا بالأغواط و جامعة تلمسان ، ثم أنجزت ُسنة ٢٠١٥ دورة تكوينية موجهة للأساتذة دعوت فيها متفقدي الفلسفة وبعض متفقدي الابتدائي وحضر فيها وفد من المهتمين بتنشيط ورشات التفكير الفلسفي جاؤوا من فرنسا وبلجيكيا و الجزائر. سنة ٢٠١٦ وجهت اهتمامي نحو البحث عن كيفية لإدراج هذه الممارسات الجديدة في صلب الاصلاح التربوي، فكّونت مجموعة من المدّرسين اشتغلوا على مقاربة ماتيو ليبمان و ذلك ضمن مشروع اطلقنا عليه إسم " المقاربة الادماجية في التربية " و اقترحنا أن يكون مشروع الإصلاح التربوي قائما على فكرة " **الفلسفة في صميم التربية** " ووجدنا في أعمال ليبمان و خاصة في البحوث التي أنجزت حول الفلسفة الموجهة للأطفال ما يمكن أن يوفر فكرة موجهة لمشروع الإصلاح بكامله و استندنا في ذلك إلى كتاب يحمل عنوان " **الفلسفة في قلب التربية، أبحاث حول ماثيو ليبمان** "[٣] و تمكّنت هيئة متفقدي الفلسفة من إنجاز ندوة متعددة الاختصاصات أشرف عليها وزير التربية آنذاك، قدمت فيها دواعي الادماج و ضرورة الخروج من منطق التشظي الذي تشكو تعلماتنا و قد مرت هذه الفكرة في صياغة المنهاج العام للتربية في تونس الذي سيُجرى الإصلاح القادم وفقه. ولكن و رغم كل هذا العمل البحثي حول الفلسفة الموجهة للأطفال و حول الممارسات الفلسفية الجديدة ، لمن تمكن من بعثنوادللفلسفة للأطفال في المؤسسات التعليمية، نظرا لعدم توفر الإطار القانوني لهذه الممارسة.

لذلك قررت سنة ٢٠١٧ تنظيم هذه الورشات مع الكبارفي فضاء خاص،وكانت التجربة مثمرة إذ اقبل على هذه الورشات نساءمن التعليم الابتدائي والثانوي وطلبوا مني تنشيط ورشات مع التلاميذ في فضاء اتثقافية مثل المكتبات العمومية ودور الثقافة.

وكانت تلك أولى اللقاءات مع الأطفال بتأطير وإعداد من معلمتهم لتجريب ورشات التفلسف مع الأطفال التي نالت إعجابهم وأصبحوا يطالبون معلمتهم بها وهي لاتستطيع دعوتي إلي قسمها لعدم وجود التراخيص القانونية لذلك. لذلك واصلت العمل على إيجاد الطريقة التي بها يمكن بعث نواد للتفلسف مع الأطفال ،و ذلك بربط الصلة معم تفقدين في دائرة قرطاج، قبلا بتحسيس المعلمين بفكرة بعث نوادي إيقاظ فكري للأطفال وانطلقنا في تكوين مجموعة من المعلمين في مقر تفقدية التعليم الابتدائي في سيدي بوسعيد،بداية من شهر نوفمبر ٢٠١٨ بمعدل حصتين في الشهر، وكان أول لقاء في أحد الأقسام مع الأطفال يوم ١٣ فيفري ٢٠١٩ بمدرسة قرطاج الدولية. ثم تتالت الورشات أنجزت بعضها بنفسي بحضور الأساتذة و المعلمين و اشترك في تنشيطها أستاذ و معلمة. وواصلت تنشيط ورشات التفلسف مع الأطفال في أحد معتمديات ولاية بنزرت بطلب من أستاذة فلسفة لها نشاط تربوي و ثقافي في مدينة عوسجة و كانت بمعدل ورشة شهريا على امتداد السنة الدراسية. وقمت بتنشيط ورشة مع التلاميذ في معرض الدولي للكتاب الذي أدرج هذا الورشات منذ ثلاث سنوات وقام بتنشيطها أحد الزملاء. كما أنجزتُ دورة تكوينية صيفية لمجموعة من المعلمين و الأساتذة في شهر جويلية ٢٠١٩ كان موضوعها " أن تكون أنت نفسك" و تواصل تكوين المدّرسين في كيفية تنشيط الورشات بطلب من مديرة مدرسة خاصة أرادت إدخال هذه الممارسة في مؤسستها وتم إنجاز حصص تكوين للمعلمين كمرحلة أولى يمكن أن يتبعها تكوين بحضور التلاميذ.و مازال العمل على إدخال ورشات الإيقاظ الفكري في المعاهد قائما حيث عقدت التفقدية العامة للتربية خلال الأيام الماضية بمساعدة مؤسسة غوتة الألمانية و مركز الخدمات المدرسية، دورة تكوينية تمحور هدفها في وضع مشروع عمل لبعث نوادي إيقاظ فكري في المبيتات المدرسية التي يشتكي التلاميذ فيها من عديد المشاكل النفسية والاجتماعية، و نحن نعوّل كثيرا على هذا المشروع لتحقيق تقدم في إدخال نوادي الفلسفة في الوسط المدرسي لتمكين التلاميذ من اكتساب مهارات التفكير مع الآخرين و الانصات، قصد تركير ثقافة السلم و الحوار و استبعاد الانحرافات السلوكية التي يكون سببها في أغلب الأحيان عدم قدرة على التفكير العقلاني السليم.

وهنا أصل إلي الاستخلاصات التي استنتجتها شخصيا من هذه التجربة على المستوى الشخصي، وعلى مستوى التلاميذ الذين عشت معهم ورشات التفكير الفلسفي و على مستوى تقبّل مدّرسي التعليم الابتدائي و التعليم الثانوي لهذه الممارسة الجديدة:

- على المستوى الشخصي مكنتني هذه التجربة من مراجعة جذرية لتصّوري لدرس الفلسفة كما ندّرسه لتلاميذ المرحلة الثانوية، إذ اكتشفت أننا لا نعلّم التلاميذ التفكير بل نلقنهم أراء الفلاسفة في المسائل التي أدرجناها في برامجنا. كما غيرت هذه الممارسة نظرتي للطفل و لدور المربي، الذي يجب أن يكون أكثر اهتماما بما يفكّر فيه التلاميذ بدل أن يعتقد أن دوره هو أن يلقنه معارف و أسلوبا في التفكير، إذ للاطفال قدرة فائقة على الفهم و التخيل و التحليل و المقارنة و الاستنتاج و الحجاج و كل العمليات الذهنية و المنطقية التي نعتقد أنه حكر على الكبار.
- على مستوى التلاميذ، لاحظتُ شغفهم الخاص بهذه الورشات و حماسهم لحضورها و انضباطهم التام للقواعد الذي يُلزمون باحترامها خلال الحوار و انصاتهم لرفاقهم دون فوضى أو منافسة، وهم يعبرون عن مشاعر الفرح و الغبطة في آخر كل ورشة من هذه الورشات و يطالبون معلميهم بتكرارها.
- على مستوى المدّرسين، هنا يجب التنبيه إلي الفرق بين تقبّل المعلمين و تقبل الأساتذة، إذ لاحظتُ أن المعلمين و على الرغم من تخّوفهم من خوض التجربة في البداية، تغيرت مواقفهم و حاولوا تجريبها مع تلاميذ قبل انتهاء فترة التكوين، و نجحوا في تنشيط ورشات بمفردهم، ظهر فيها وعيّهم بالرهانات التي يطرحها التفلسف مع الأطفال. أما عن مدّرسي الثانوي فإنهم كانوا مندهشين من القدرات التي أظهرها الأطفال وهم يتحاورن و نوهوا جميعا بقيمة هذه الممارسة في تطوير قدرات التلاميذ الذهنية و لكنهم لم يجرؤا بعد على إدخال هذا النوع من الأنشطة الحوارية مع تلاميذهم لأسباب عديدة أهمها التزامهم بالبرامج التي يدّرسونها ولكن الحقيقة تكمن في أنهم يتخّوفون من تغيير أساليب عملهم التي اعتادوا عليها. و هذا ما يحتاج منّا الكثير من العمل لإدراج هذه الممارسات الجديدة في دروس الفلسفة العادية.

لذلك ازدادت قناعتي بوجاهة هذه الممارسة و بقيمتها في تغيير شكل التعاطي مع الفلسفة، بحيث لا يُنظر لها فقط كتاريخ لنصوص كتبها فلاسفة بل كشكل من التفكير المنطقي القادر على بناء قدرات التلميذ الذهنية والسلوكية، في مجتمعات تحتاج إلى مزيد ترسيخ الفعل التربوي الذي تضاءل بفعل التركيز على وفرة المعارف التي يجب شحنها و تلقينها للتلميذ.

نرى إذن أنه ورغم مرور أكثر من عشر سنوات على تبني وزارة التربية لتوصية

اليونسكو بإدخال الفلسفة الموجهة للأطفال في البرامج التعليمية، إلا أن الخطوات مازالت مُحتشمة ولا وجود لأي برنامج رسمي تشرف عليه الوزارة وترصد له الإمكانيات الضرورية في التكوين والتنفيذ، وما تمر به وزارة التربية في السنوات الأخيرة من اضطرابات لايوحي بوجود تصّور واضح لما نريده لأطفالنا، حتى وإن كان المنهاج العام للتربية الذي انتهت الوزارة إلي صياغته ينصّ صراحة على كفايات الحياة والتي تتضّمن التفكير النقدي الذي لا يمكن إلا للفلسفة أن تضطلع به. كما نجد أن التسمية "إيقاظ فكري" تجد استحسانا عند متفقدي التعليم الابتدائي ويعتبرونها أفضل ما يمكن أن نسمي به هذا النشاط الجديد الذي يمكن أن نمارسه مع الأطفال. ولعل الخوف من كلمة "فلسفة" هوالذي يفسّر استحسان عبارة الإيقاظ الفكري. لذلك أعتبر شخصيا أن الطريق مازال طويل جدا ومحفوف بالصعوبات أما ما لفلسفة الموجهة للأطفال لأن الكهول لم يقتنعوا بعد بجدو الفلسفة وبضرورتها لبناء الحضارة ولبناء الفرد، ويضاف إلي ذلك المناخ الثقافي العام الذي يشهد انتشار التطّرف وسيطرة الخطاب الديني على جميع النقاشات العمومية التي طرحت في بلادنا بعد الثورة، فالصراع على النمط الاجتماعي الذي نريده مازال قائما وحتى المكتسبات التي حققتها تونس في مجال التربية وحقوق المرأة هي بصدد التراجع

جميع هذه الأسباب تجعل مبحث الفلسفة الموجهة للأطفال مبحثا جديا، يتجذر في عمق الاختيار التربوي الذي نريده للأجيال القادمة، فإماأن نراهن على ضرورة بناء الذكاء ونسعى بكل الطرق إلي تحقيقه دفنا أو أن نبقي على مدرسة جامدة ثابتة لاتقبل التجدد والتطّور ولاتهتم بما تصنعه الحضارات الأخرى لتحسين ذكاءأبنائها.

الهوامش:

(1) Pixie،Ronald Reed & Ann M. Sharp،ed. De la Torre Editions, Madrid،1996 دراسات في فلسفة الأطفال –

(2) Apprendre à penser, penser à apprendre, Document de l'OCDE, présenté à la Conférence de Juillet 1989 oraganisé par CERI , OECD ?1993 PP 141-154.

(3) La philosophie au cœur de l'éducation ,Autour de Matthew Lipman , Vrin 2014